

خطبة الأسبوع

الغنيمة الباردة

(الشتاء)



الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ

وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنُتُوبُ

إِلَيْهِ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،

وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ

لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ : فَاعْلَمُوا أَنَّ التَّقْوَى
وَسِيلَةٌ لِمَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ، وَدُخُولِ
الْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ،
وَهِيَ خَيْرُ لِبَاسٍ، وَأَعْظَمُ
أَسَاسٍ! ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ

عَلَى تَقْوَى مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ
خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى
شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارَ بِهِ فِي نَارِ
جَهَنَّمَ ❁

عِبَادَ اللَّهِ : مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ جَلَّالَهُ ،
أَنَّ نَوْعَ بَيْنِ الْفُصُولِ ، مَا بَيْنَ
بَرْدٍ وَحَرٍّ ، وَجَذْبٍ وَمَطَرٍ ،

وَطُولٍ وَقِصَرٍ ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ

الَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً

لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

وَهَا هُوَ بَرْدُ الشَّتَاءِ: قَدْ أَقْبَلَ

عَلَيْنَا بِبَرْدِهِ؛ لِيُذَكِّرَنَا بِآيَةٍ مِنْ

آيَاتِ اللَّهِ السَّاطِعَةِ، وَحِكْمِهِ

الْبَاهِرَةِ!

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ

تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

وَمِنْ حَكَمِ الشِّتَاءِ : أَنَّ فِيهِ

مَصَالِحٌ لِلْعِبَادِ ! قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ :

(فَفِي الشِّتَاءِ : تَغُورُ الْحَرَارَةُ فِي

بُطُونِ الْأَرْضِ ؛ فَتَوَلَّدُ الشَّهَارُ ،

وَيَسْتَكْثِفُ الْهَوَاءُ ؛ فَيَخْصُلُ

السحابُ والمطرُ، والثلجُ
والبردُ؛ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْأَرْضِ
وَأَهْلِهَا¹.

وَجَاءَ بَرْدُ الشَّتَاءِ؛ لِيُذَكِّرَنَا

بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا: مِنَ الْبُيُوتِ

وَالثِّيَابِ؛ قَالَ وَعَجَلَّ: ﴿وَالْأَنْعَامَ

¹ مفتاح دار السعادة (207). باختصار.

خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ

وَمَنَافِعُ ﴿٥﴾ . قَالَ الْبَغُوي :

(﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ : يعني مِنْ

أَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَصْوَافِهَا :

مَلَابِسَ وَلُحَفًا تَسْتَدْفِئُونَ

بِهَا) ².

² تفسير البغوي (5 / 9).

وفصلُ الشتاء: ربيعُ المؤمنين،

وغنيمةُ العابدين³؛ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(الغنيمةُ الباردة: الصومُ في

الشتاء)⁴. يقول ابنُ رَجَب:

(إنَّما كانَ الشتاءُ ربيعَ المؤمنِ؛

لأنَّه يَرْتَعُ فيه في بَسَاتينِ

³ حلية الأولياء، أبي نعيم (51 / 1).

⁴ أخرجه الترمذي (797)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

الطَّاعَاتِ: كَمَا تَرْتَعُ الْبَهَائِمُ فِي
مَرْعَى الرَّبِيعِ؛ فَتَسْمَنُ وَتَصْلَحُ
أَجْسَادُهَا؛ فَكَذَلِكَ يَصْلَحُ دِينُ
الْمُؤْمِنِ فِي الشِّتَاءِ؛ فَإِنَّهُ يَقْدِرُ
عَلَى صِيَامِ نَهَارِهِ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ،
وَأَمَّا قِيَامُ لَيْلِ الشِّتَاءِ؛ فَلِطُولِهِ:

يُمْكِنُ أَنْ تَأْخُذَ النَّفْسُ حَظَّهَا

مِنَ النَّوْمِ، ثُمَّ تَقُومُ⁵.

وَاللَّيْلُ فِي الشِّتَاءِ طَوِيلٌ: فَلَا

تُقَصِّرُهُ بِمَنَامِكَ؛ وَأَبْوَابُ الْخَيْرِ

وَاسِعَةٌ: فَخَفِّفْ مِنْ آثَامِكَ؛

والتَّحَقَّقْ بِقَوَافِلِ الصَّالِحِينَ،

⁵ لطائف المعارف (326). باختصار.

وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ؛ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ:

﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا

وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا

اَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ

عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (مَرْحَبًا

بِالشَّتَاءِ؛ تَنْزِلُ فِيهِ الْبَرَكََةُ:

يَطْوُلُ فِيهِ اللَّيْلُ لِلْقِيَامِ، وَيَقْصُرُ

فِيهِ النَّهَارُ لِلصِّيَامِ)^٦.

وَقَالَ أَحَدُ التَّابِعِينَ -عند موته-:

(مَا أَبْكِي عَلَى دُنْيَاكُمْ؛ رَغْبَةً

فِيهَا، وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَى ظَمَأٍ

الْهَوَاجِرِ، وَقِيَامِ لَيْلِ الشَّتَاءِ)^٧.

^٦ لطائف المعارف، ابن رجب (558).

^٧ حلية الأولياء، أبي نعيم (88 / 2).

وَمِنْ دُرُوسِ الشَّتَاءِ: أَنَّهُ يُذَكَّرُ

بِزَمْهَرِيرٍ جَهَنَّمَ؛ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(اشْتُكَيْتِ النَّارَ إِلَى رَبِّهَا،

فَقَالَتْ: "يَا رَبِّ، أَكَلْتُ بَعْضِي

بَعْضًا" فَأُذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ

فِي الشَّتَاءِ، وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ؛

فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ،

وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنْ

الزَّمْهَرِيرِ) ^٨. قال جَلَّالَهُ: ﴿هَذَا

فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾.

يقولُ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

(الغَسَّاقُ: هُوَ الزَّمْهَرِيرُ

^٨ أخرجه البخاري (3260)، ومسلم (617).

يَحْرِقُهُمْ بِبَرْدِهِ: كَمَا تَحْرِقُهُمُ النَّارُ
بَحَرَّهَا) ⁹.

وَفِي الشِّتَاءِ آيَاتٌ عَظِيمَةٌ ²⁸:

كَالْأَمْطَارِ وَالصَّوَاعِقِ، وَالرَّعْدِ
وَالْبَرْقِ، وَالثَّلْجِ وَالْبَرْدِ،
وَالرِّيَّاحِ وَالْعَوَاصِفِ؛ وَفِي هَذِهِ

⁹ تفسير البغوي (7 / 99). قال ابن كثير: (الْغَسَّاقُ: هُوَ الْبَارِدُ الَّذِي لَا يُسْتَطَاعُ مِنْ

شِدَّةِ بَرْدِهِ الْمُؤْلَمُ!). تفسير ابن كثير (7 / 69).

الآيَاتِ: موعظةٌ للمؤمنين،

وعبرةٌ للمتفكرين!

قال بعضُ الصالحين: (ما

رأيتُ الثلجَ يتساقطُ، إلَّا

تذكرتُ تطايرَ الصُّحُفِ في يوم

الحشرِ والنَّشْرِ!).

والوضوء في البرد: يُكْفَرُ

السيئات، ويرفعُ الدَّرَجَاتِ؛

قال ﷺ: (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا

يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ

الدَّرَجَاتِ؟) قَالُوا: (بَلَى، يَا

رسول الله) قال: (إِسْبَاغُ

الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ) ¹⁰.

وَمِنْ مَكَارِهِ الشِّتَاءِ: أَمْرَاضُ

الْبَرْدِ؛ وَهِيَ كَفَّارَاتُ لِمَنْ

صَبَرَ عَلَيْهَا؛ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا لَكَ

¹⁰ وَتِمَّةُ الْحَدِيثِ: (وَكَثْرَةُ الْخَطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَذَلِكَ

الرِّبَاطُ). رواه مسلم. (251). تنبيه: إِنَّمَا يُشْرَعُ الْوُضُوءُ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَاءٌ مُسَخَّنٌ، أَمَّا إِذَا كَانَ الْمَاءُ الْمُسَخَّنُ موجودًا؛ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَعَمَّدَ الْوُضُوءَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ؛ لِأَنَّ الْمَشَقَّةَ لَيْسَتْ مَقْصُودَةً لَهَا.

يَا أُمَّ السَّائِبِ تُزْفِرِينَ؟ - أي

تَرْتَعِدِينَ -) فقالت: (الْحُمَّى، لا

بَارَكَ اللَّهُ فِيهَا) فقال ﷺ:

(لا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ

خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ

الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ)¹¹.

¹¹ رواه مسلم (2575).

وفي فصل الشتاء: يقطع المسلم

راحته، وينازع نفسه عن

فراشه؛ ليقوم إلى صلاة الفجر،

مع شدة البرد، وغلبة النوم؛

لأنه يخاف من برد النار،

ويرجو رحمة الواحد القهار!

قال سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ

المُضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا
وَطَمَعًا❁. قال المفسِّرون: (إِنَّ
اللهَ مَدَحَ الَّذِينَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ
عَنِ الْمَضَاجِعِ لِدُعَائِهِ؛ وَيَشْمَلُ
ذَلِكَ: كُلُّ مَنْ تَرَكَ النُّوْمَ، وَقَامَ
إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ! ¹² فَإِنَّهَا تَأْتِي

¹² جامع العلوم والحكم، ابن رجب (142-143). باختصار. قال رَجُلٌ: (عَجِبَ
رَبُّنَا مِنْ رَجُلَيْنِ) وَذَكَرَ مِنْهُمَا: (رَجُلٌ ثَارَ عَنْ وِطَائِهِ وَلِحَافِهِ، مِنْ بَيْنِ حَبِّهِ وَأَهْلِهِ إِلَى
صَلَاتِهِ، فَيَقُولُ اللهُ لِلْمَلَائِكَةِ: "انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، ثَارَ عَنْ فِرَاشِهِ وَوِطَائِهِ مِنْ بَيْنِ حَبِّهِ

فِي وَقْتِ مَشَقَّةٍ؛ بِسَبَبِ بَرْدِ
الْشِتَاءِ، وَطَيِّبِ النُّومِ فِي
الصَّيْفِ، فَخُصَّتْ بِالمُحَافَظَةِ؛
لِكَوْنِهَا مُعَرَّضَةً لِلضِّيَاعِ،
بِخِلَافِ غَيْرِهَا¹³.

وَأَهْلِهِ إِلَى صَلَاتِهِ؛ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً بِمَا عِنْدِي!". رواه ابن حبان
(2558)، قال الهيثمي: (رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير، وإسناده
حسن). مجمع الزوائد (3538).

¹³ شرح مسلم، النووي (5/129). بتصرف

وَمِمَّا تَقْتَضِيهِ الْمُنَاسِبَةُ: التَّنْبِيهُ

إِلَى أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُوقِدُ النَّارَ
لِلتَّدْفِئَةِ، وَلَكِنْ قَدْ أَرْشَدَ نَبِيُّكُمْ

ﷺ إِلَى **إِطْفَاءِ النَّارِ قَبْلَ النَّوْمِ؛**

وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِئَلَّا تُسَبِّهُ سَوْءٌ مِنْ

الْإِحْتِرَاقِ أَوْ الْإِخْتِنَاقِ؛

وَهَكَذَا الدِّفَائَاتُ الْكَهْرِبَائِيَّةُ،

فإنه يُشَرِّعُ إطفاءُها عندَ

انقضاءِ الحاجةِ منها؛ قال ﷺ:

(إِنَّ هَذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ

لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأُطْفِئُوهَا

عَنْكُمْ)¹⁴.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ
كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

¹⁴ رواه البخاري (6294)، ومسلم (2016).

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه،

والشكر له على توفيقه

وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا

الله، وأن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد: فأعينوا الفقراء على

مواجهة الشتاء؛ فإن الصدقة

تَرُدُّ الْبَلَاءَ؛ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (صَنَائِعُ

الْمَعْرُوفِ؛ تَقِي مَصَارِعَ

السُّوءِ)¹⁵.

وَإِذَا كَانَ النَّاسُ يُفْرُونَ مِنْ

زَمْهَرِيرِ الدُّنْيَا: بِاللَّبَّاسِ

وَالْكِسُوفَةِ؛ فَهَلْ فَرَزْنَا مِنْ

¹⁵ أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (6086)، وصححه الألباني في السلسلة

الصحيحة (4/538).

زمهرير الآخرة بـ (لباسِ
التَّقْوَى)؛ فَهُوَ اللِّبَاسُ الَّذِي
يَدُومُ وَلَا يَبْلَى¹⁶.

وَلَنَتَذَكَّرُ بِهَذَا الْبَرْدِ؛ نَعِيمَ أَهْلِ

الْجَنَّةِ! قَالَ اللَّهُ - وَاصِفًا حَالَهُمْ -:

﴿مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا

¹⁶ يقول الغزالي: (أَكْثَرُ النَّاسِ لَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ بِاليَوْمِ الْآخِرِ صَمِيمَ قُلُوبِهِمْ؛ وَيُدُلُّ عَلَى ذَلِكَ: إِسْتِعْدَادُهُمْ لِحَرِّ الصَّيْفِ، وَبَرْدِ الشِّتَاءِ؛ وَتَهَاوُنُهُمْ بِحَرِّ جَهَنَّمَ وَزَمْهَرِيرِهَا!). إحياء علوم الدين (4 / 511). باختصار

يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا

زَمْهَرِيرًا* . قال ابن كثير: (أي

ليس عندهم حرٌّ مُزْعِجٌ، ولا

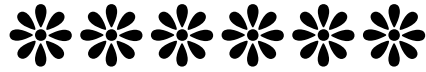
بردٌ مُؤْلِمٌ، بل هي مزاجٌ واحدٌ،

دائمٌ سرمدِيٌّ، لا يَبْغُونَ عنها

حِوَلًا)¹⁷ .

¹⁷ تفسير ابن كثير (8 / 279). قال قتادة: (عَلِمَ اللهُ أَنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ تُوْذِي، وَشِدَّةَ الْقَرِّ

تُوْذِي، فَوَقَاهُمُ اللهُ أَذَاهُمَا). تفسير الطبري (24 / 102). بتصرف



* هذا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى الرَّحْمَةِ
الْمُهْدَاةِ، وَالنَّعْمَةِ الْمُسَدَّاةِ: نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ
رَسُولِ اللَّهِ؛ فَقَدْ أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ فِي
مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، فَقَالَ - وَهُوَ الصَّادِقُ فِي
قَوْلِهِ -: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ
وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

* **اللَّهُمَّ** صَلِّ وَسَلِّمْ، وَزِدْ وَبَارِكْ عَلَى
نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **اللَّهُمَّ** احْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ،
وَأَدْخِلْنَا فِي شَفَاعَتِهِ، وَأَحْيِنَا عَلَى سُنَّتِهِ،
وَتَوَفَّنَا عَلَى مِلَّتِهِ.

* **اللَّهُمَّ** ارْضَ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ:
أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيٍّ؛ وَعَنْ
الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

* **اللَّهُمَّ** أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ
الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، **اللَّهُمَّ** فَرِّجْ هَمَّهُ

المهمومين، ونفس كَرَبَ المَكْرُوبين،
واقضِ الدينَ عَنِ المَدِينين، واشفِ
مَرَضِي المسلمين.

* **اللَّهُمَّ** آمِنَّا فِي أوطَانِنَا، وَأَصْلِحْ أئِمَّتَنَا
وَوُلاةَ أُمُورِنَا، وَوَفِّقْ (وَلِيَّ أَمْرِنَا وَوَلِيَّ
عَهْدِهِ) لِمَا نُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهَا
لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى.

* **اللَّهُمَّ** أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ
الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ؛ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغِيثَ،
وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ.

* **اللَّهُمَّ** اغْنِنَا غِنًا مُغِيثًا، هَنِئًا مَرِيئًا،

نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ.

* **عِبَادَ اللَّهِ :** ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ

الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ﴾.

* **فَاذْكُرُوا** اللهَ يَذْكُرْكُمْ، **وَأشْكُرُوهُ** عَلَى

نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ

مَا تَصْنَعُونَ﴾.



